المماليك ومغول القفجاق

obeikandl.com

obeikandl.com

المماليك ومغول القفجاق

عندما قسم جنكيز خان دولته الواسعة بين أبنائه الأربعة كانت الأجزاء الواقعة قرب بحر قزوين وفي حوض نهر الفولجا من نصيب جوجي ابن جنكيز خان،، فأقام هناك دولة عرفت باسم دولة مغول القفجاق أو القبيلة الذهبية نسبة إلى اللون الذهبي الذي اشتهرت به مخيماتها ، ولم يلبث الإسلام أن انتشر بين ذلك الفرع من التتار، وذلك بعد أن اعتنق رئيسهم بركة خان الإسلام، الأمر الذي جعله يدخل في عداء وحروب مع طوائف المغول الوثنيين ، وبخاصة مغول فارس، ومن ناحية أخرى بدأ بركة خان في مد جسور التقارب مع القوى الإسلامية المجاورة ، وبخاصة دولة المماليك، ولمّا علم السلطان الظاهر بيبرس بإسلامه كتب إليه يغريه بقتال هولاكو ، ويرغبه في ذلك ، ثم إن الظاهر بيبرس أخذ يكرم الوافدين على بلاده من القبيلة الذهبية ، وكان بعض هؤلاء خاضعين لهولاكو ، ففروا إلى الشام عندما لمسوا العداء المستحكم بين زعيمهم بركة خان وحاكمهم هولاكو.

ولم يلبث أن وفد على مصر سنة ١٢٦٣ رسل بركة خان يحملون رسالة للسلطان بيبرس جاء فيها : «فليعلم السلطان أني حاربت هولاكو الذي من

لحمي ودمي لإعلاء كلمة الله العليا تعصبًا لدين الإسلام، لأنه باغي والباغي كافر بالله ورسوله»[1].

وكان أن رد الظاهر بيبرس على بركة خان برسالة مطولة يحثه فيها على الاستمرار في قتال هولاكو، ولم يكتف بيبرس بهذه الرسالة، بل امر بالدعاء لبركة خان بعد الدعاء للسلطان على منابر مكة والمدينة والقدس والقاهرة، كما أرسل بيبرس له هدية ، وقد استقبل بركة خان رسل بيبرس بحفاوة بالغة ، وقد حكى رسل بيبرس عند عودتهم إلى مصر أن لكل أمير وأميرة في بلاط بركة خان إمامًا ومؤذنًا خاصًا ، وأن الأطفال كانوا يحفظون القرآن في المدارس.

بركة خان

(١) «عقد الجمان» لبدر الدين العيني.